

محاذير وأخطار

في مواجهة إحياء التراث والترجمة من الفكر الغربي

أنور الجندي

دار الاعتصام

محاذير وأخطاء
فى وجه التراث والترجمة
من الفكر الغربى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يهدد الفكر الاسلامى خطران مزدوجان هما خطر احياء التراث الاسلامى على ذلك النحو الذى تزيفه قوى التغريب والغزو الثقافى وتشارك فيه مفاهيم الفكر المادى والوثنى والاباحى لتخرجه من مفاهيمه وأصـــوله أو تحجب أصالته وتذهب بضوئه الناصع ونوره الساطع .

وتلك الخطة المسمومة التى قامت عليها الترجمة من الآداب الأجنبية والفـــكر الغربى قد نقلت الى آفاق الفكر الاسلامى واللغـــة العربية حصيلة ضخمة من الترجمـــات القصصية المكشوفة والمفاهيم المادية الملحدة ولذلك فقد حق على كل باحث مسلم أن يواجه هذين التيـــارين مواجهـــة صحيحة ليكشف عن أخطارهما ومحاذيرهما .

* * *

التراث الاســـلامى

ان محاولة احتـــواء التراث الاسلامى تجرى فى ثلاثة ميادين :

١ ـــ فى نوعية بعثه .

٢ ـــ فى طريقة احيائه

٣ ـــ فى أسلوب تفسيره .

فهى لا تترك حركة احياء التراث تتم على وجهها الصحيح ولكنها تفرض انبعاث جوانب معينة منه ، ليست هى بالطبع اجودها ، ولكنها اشدها سوءا ، ان محاولات الانبعاث التى يقوم بها (التغريب والغزو الثقافى) يستهدف انبعاث تراث الفلسفات والفكر الباطنى والوثنى والمذاهب المنحرفة والمتحللة وخاصة ما يتعلق بالشعر الاباحى والفكر الفلسفى الصوفى وتتجاهل عامدة مختلف الجوانب الاصيلة . كذلك فهى تحاول احياءه باعادة كتابته على نحو يغاير تمام المغايرة ما استهدفه اصـــحابه أولا وما هو فى حقيقته وذلك باستخدام أسلوب الاتكاء على بعض النصوص واستخدامها استخداما خاصـــا لكى تحقق شيئا ليس هو فى الحقيقة واقع الأمر ، كما تغضى

اغضاء شديدا عن جوانب هامة لأنهـــا لا تتفق مع الوجهة التى يقصد اليها المتطلعون الى الأحياء .

(ويبدو ذلك واضحا فى كتابات طه حسين للفتنة الكبرى)

اما اسلوب تفسير التراث فان هناك محاولات لاخضاعه لغير مذهب من المذاهب المطروحة فى افق البحث العلمى وكلها غريبة عنه ، ومنها المنهج المادى والمنهج الاقتصادى والمنهج الماركسى والصهيونى . وكلها مذاهب تقف من تاريخ الاسلام ومن تراثه موقف خصومة ، وتهدف الى تزييفه والادالة منه **(تفسيرات عبد الرحمن الشرقاوى وأحمـــد عباس صالح ومحمد عمارة) .**

كان الغرب يعرف عظمة هذا التراث ويعرف الآثـــار البعيدة التى تقدمه لهذه الأمة اذا ما تحقق احياؤه على الوجه الصحيح وعرف المسلمون ما هى الجـــوانب التى تبعث ، لقد شارك التراث فى مختلف ميادين الأدب والفقه والعلوم التجريبية والكلام والفلسفات والتربية والاقتصاد والاجتماع والسياسة .

ولان الغرب استطاع ان يسيطر على هذا التراث وان ينقل ذخائره الى مكتبات الغرب فلقد استطاع ان يقول ان المسلمين ليس لهم منهج فى العلوم وكذلك استطاع الغرب ان يحيى تراث الاباحيين من الشـــعراء والمنحرفين من رجال التصوف والغلاة من الفلاسفة والباطنيين بينما لم يكن هذا هو التراث الذى ينشده المسلمون ليدفعهم الى الأمام .

وهناك تلك المحاولة التى يرمى بها الغرب الى احيـــاء

تراث الوثنية اليونانية والجاهلية العربية والمجوسية الفارسية والأساطير والخرافات ، ومع هذه المحاولة ينكر التغريبيون تراث الاســـلام الذى هو أقرب زمنا وأكثر اصالة وأصدق استجابة للنفس الاسلامية وللفطرة الانسانية .

واذا تحدثوا عن التراث قالوا قولتهم الظالمة ان الأموات يتحكمون فى الاحياء غير مفرقين بين تراث الميراث القائم بالحق: والقرآن والسنة ، وبين عمل البشر الذى جاء تفسيرا لهذين النيرين .

وما كان المسلمون يوما عبيدا لتراثهم ولـــكنهم كانوا يستهدون به ويأخذون من ضوئه ما يصلح حياتهم ولقد يكون الغربيون لا يفهمون هذه التفرقة بين الميراث الربانى وبين التراث الذى صنعه البشر من حيث أن تراثهم كله بشرى ، ولكنا نحن المسلمين نفرق بين التراث والميراث أما الميراث الذى قدمته لنا رسالة السماء بالوحى وسنة الرسول صلى الله عليه وســـلم فهو ليس موضع بحث ، وانما هو الأساس المكين والمنابع الأصيلة والقيم الاساسية للكيان الاسلامى فى وجوده كله ، ويجيء التراث الذى كتبه علماء المسلمين كاشفا ومفسرا وموضحا لذلك الميراث فى مواجهة تغيرات العصـــور واختلاف البيئات فهو ضوء كاشف نأخذ منه ونترك ، فضلا عن ان هذا التراث قد دخلته دخائل كثيرة نتيجة ما كتبه الزنادقة والملاحدة وأصحاب الأهواء ودعاة الفرق ، فهذا نحن ننظر فيه فى ضوء الميراث الأصيل فان وافقه قبلناه وان عارضه نبذناه ولدينا فى هذا الميراث والتراث كل خصائص أمتنا وحاجاتنا فى مجال التشريع والسياسة والاجتماع والتربية ، فلسنا فى حاجة الى المناهج الوافدة لتقدم لنا فى منهج الحياة ونظام المجتمع

شيئا ، ذلك ان خلافا عميقا واقعا فى الاساس بين المجتمع الاسلامى والمجتمع الغربى من ناحية العقائد والاخلاق والقيم والمفاهيم الانسانية والبشرية ، ونحن فى هذا نؤمن بما جاء به كتاب الله :

« يريد الله ان يبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم »

ولا ريب أن هـــذه القيم الأساسية فى مجال المجتمـــع والأخلاق التى صنعها الاسلام وربى عليها الاجيال : جيلا بعد جيل ما تزال حية فى النفوس وفى أعماق القلوب يتلقاها الأبناء عن الآباء عن طريق القدوة والمثل ، وهى تحكم سلوكنا وتنتظم حياتنا قوامها هذه اللغة وهذه العقيدة وصلات الأبوة والبنوة والزوجية والقيم الخلقية ومفاهيم الحلال والحرام كلها تضرب جذورها فى ماض سحيق ، هذا هو التراث الحى الذى يريد الغزو الفكرى أن يقتلعه ، ويريد خصوم الاسلام والمسلمين أن نتخلى عنه ، بينما هو من أساس البناء « وقد بقى حيا لأنه صالح للحياة ولن يستطيع الحاضر أن يحكم عليه بالموت لأنه لا يجد ما هو خير منه ولانه متقبل من الفطرة والعقل ، سائر مع الحياة » .

وليس فى هذا معنى السلطان المطلق للماضى على الحاضر فليس كل الماضى سوءا وليس الماضى بهذه الأصالة معوقا عن النهضة بل ان الامم التى تفقد موروثاتها الثرة ومنابعهـــا الأصيلة لا تستطيع أن تبنى بديلا منهـــا مهما استطال بها الزمان وتظل عاجزة عن اللحاق بركب النهضة او افتقــاد مكانها فى موكب الحياة .

وليس ادل على اصالة تراثنا من شهادة الاجانب والاعداء لــه :

حيث يقول هاملتون جب : انه ليس فى وسع العرب أن يتحرروا من ماضيهم كما فعل الأتراك وسيظل الاسلام اهم صفحة فى هذا السجل الحافل الى درجة لا يمكن أن يغفل عنها الساعون الى انشاء مثل عربية عليا .

ويقول مفماير : لن ينفصل العرب عن الماضى المجيد فى التاريخ الاسلامى ، وليس من الممكن ان يحدث فى هذه الاقطار شىء يشبه ما حدث فى تركيا . بل ان استعادة هذا الماضى وتجدد الحديث عنه هو احد العوامل فى حركة البعث الوطنى والدينى . ان حركة بعث الاسلام لا يمكن ان تنقطع او تتوقف لأن الناس فى حاجة اليها فهى أحد مقومات نهضتهم الحقيقية .

ويؤكد هذا المعنى كثيرون يؤمنون بأن الشرقيين لا يمكن أن تصبح لهم حياة عقلية من غير تراثهم الذى ينتمى اليهم ويصطبغ بصبغتهم ، فقد يمكن أن نجعل العلم الطبيعى تراثا شرقيا او غربيا باية صفة من الصفات وغير ممكن كذلك : ان نجعل العلم الرياضى تراثا ينتسب الى الشرقيين او الى الغربيين وانما يقوم تراثهم على مالهم من اشعار ومواعظ وامثال واداب وقواعد سلوك وفى طليعة روح العقائد وما يصاحب ذلك من فقه وشريعة ودين .

ولقد كانت القيم الأصيلة دوما وفى كل مكان من بلاد المشرق عاملا على حفظ الشخصية الوطنيـــة من الذوبان والانهيـــار .

ولقد ظل ما يجرى تجديدة من الفلسفات والفكر الباطنى والتراث الصوفى الفلسفى وكتب العصور المعاصرة والانحلال الاجتماعى (كألف ليلة والأغانى) وكتب المذاهب الهدامة والحلول والاتحاد من التراث المرفوض .

فنحن لا نقبل بمفهوم الباعثين للتراث الشعوبى تحت اسم الأدب أو الوجد الفنى أو أى مفهوم من مفاهيم الاهواء المضلة ومقياسنا هو الاسلام وحده وهو الحكم فى مختلف مجالات البحث فكل ما يتصل به ويجرى مجراه فهو من الأصالة الحقيقية وكل ما يختلف عنه فهو من الشعوبية مهما حاول الدعاة الى بعثه وزخرفته وتزيينه وتصويره على أنه فن أو شعر أو أدب ولا ريب أن كل المعتقدات الفاسدة التى أخذت طريقها الى الشعراء أو النثر أمثال ابن الفارض أو نثر ابن عربى أو الحلاج أو السهروردى أو غيره فهى كتابات باطلة ليست من تراث الاسلام الأصيل .

ولقد كانت كتابات زكى مبارك فى التصوف وزكى نجيب محمود فى أدب الباطنية وتراث الزنادقة والشعوبية واحياء طه حسين لتاريخ الاساطير الجاهلية واضافتها الى السيرة أو كتابته عن على ومعاوية وما تلا ذلك من كتابات عبد الرحمن الشرقاوى وغيره ، كل هذا من احياء التراث الفاسد المضلل الذى يراد به الهوى والذى يحقق غايات بعيدة ترمى الى اقامة الأساطير مرة أخرى أو اشاعة الاسرائيليات وتجديدها فى الفكر الاسلامى الحديث .

ونحن ننكر الدعوة القائمة على الفصل بين ماضى هذه الامة وحاضرها تحت اسم الفكر العربى الحديث ، او الفكر

المصرى الحديث . وهى كلمات زائفة ، فلقد قام الفكر الاسلامى المعاصر على امتداده الطبيعى منذ نشأة الاسلام ، وكذلك قام الفكر الغربى المعاصر على أساس التراث الرومانى واليونانى مستمدا منه ابرز قيمه ودعائمه محاولا الارتباط به والاتصال بالرغم من انه انفصل عن هذا التراث الاغريقى الف عام ، اما العرب والمسلمون فأنهم لم ينفصلوا عن تراثهم وقيمهم يوما واحدا ولم يزل حاضرهم استمدادا لماضيهم ، وقد أنتهى الاغريق والرومان ومع ذلك فقد احيا الغرب تراثهم ، اما التراث الاسلامى فانه ممتد ومتصل فهو تراث أمة لم تنته ولم تذهب لغتها الى المتحف ومازال فكرها حيا متفاعلا فى وجود امتها وفى البشرية كلها ولم يتوقف تفاعلها مع فكرها لحظة واحدة ولذلك فنحن حين نؤكد حقيقة الامتداد التاريخى للتراث الاسلامى مع واقع المسلمين والعرب ننكر ذلك الزيف والدخيل الذى ادخله المجوس والباطنية ومترجمى الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية .

وكل ما يتأكد بالاصول القرآنية والحديث الصحيح فهو من التراث الصحيح ، ولقد واجهت اصالة التراث هزة شديدة بعد نكسة ١٩٦٧ حيث علت أصوات المارقين من دعاة التغريب الى القول بأن التراث الاسلامى هو مصدر الهزيمة وكذبوا فان التراث الاسلامى لم يكن مطبقا ولا معمولا به فى ذلك العالم الذى شاهد الهزيمة ، بل ان الذين هزموا العرب كانوا هم الذين احيوا تراثهم الزائف . بينما حجبوا المسلمين عن تطبيق مفاهيم تراثهم وقيم فكرهم الأصيل .

وما تزال النظرة الى الارتباط بالتراث نظرة اصيلة وثابتة

وان النكسة بعد النكبة لم تغيرها ، بل زادتها قوة ، فقد كشفت عن حقيقة اساسية هي أننا لم نكن نصدر — اذ ذاك عن قيمنا الاصيلة ، واننا كنا مغرقين في تبعية وافدة كانت بعيدة الاثر في شخصيتنا وقد تبين لنا أن كل ما تقع الأمم فيه من أخطاء انما يعود الى التفريط في التراث والانسحاب من قيمه والتحرك خارج دائرة الاصالة كما تبين ان الذين دعوا هذه الامة الى ان تنفصل من التراث ومن الماضى — وهم من ابناء جلدتنا — كانوا غاشين لنا وسوف يحملهم التاريخ مسئولية الهزائم والنكسات واثمها وتبعتها ولقد تبين لنا اننا عندما عدنا والتمسنا اصالتنا وتراثنا وبدأنا نتجه صوت المنابع تحول الموقف واستطعنا ان نكون على طريق صحيح .

ومن هنا وجب علينا اليقظة ازاء محاولات التغريبيين (شعوبيين وماركسيين وغربيين) لاحياء التراث ونقده وتفسيره وخاصة اولئك الذين يريدون ان يجعلوا من الزيوق والركام والرواسب الفلسفية والفكرية التى نفاها الفكر الاسلامى وتخلص منها والقاها بعيدة عنه ، يريدون ان يجعلوا منها تراثا وان يعيدوها مرة اخرى ليلقوها في النهر الناصع لتسممه وتسوده كما فعل طه حسين وعلى عبد الرازق وزكى نجيب محمود ولويس عوض وحسين فوزى وتوفيق الحكيم وعبد الرحمن الشرقاوى فقد حاول هؤلاء وغيرهم عدة محاولات :

افساد التراث وتزييف التراث وتسميم النظرة الى التراث وعلينا ان نعى تماما تلك التفسيرات الخاطئة والمفاهيم المسمومة التى طرحتها هذه الكتابات في محاولة لجعلها من

مفهوم الاسلام او من تاريخه حتى تصبح بين ايدى الاجيال القادمة وكأنها من المسلمات .

فعلينا امعان النظر فى تلك الاساليب الدخيلة والزائفة والمحرفة التى طرأت فى السنوات الخمسين الاخيرة منذ الشعر الجاهلى لطه حسين الى تجديد الفكر العربى لزكى نجيب محمود .

وهكذا نرى أن التغريب والغزو الثقافى ليس قاصرا على ادخال الوافد المسموم بل هو ايضا يرمى الى تزييف التراث الاصيل .

* * *

(٢)

محاذير الترجمة

فى مواجهة تلك الظاهرة الضخمة فى الفكر الاسـلامى الحديث وعن طريق الأدب العربى فى الاغلب ندرس ظاهرة الترجمة من الفـكر الغربى : سـواء الفـكر اليونانى القديم أو الفكر الغربى الحديث .

وهى ظاهرة شبيهة بسابقتها فى القرن الثالث الهجرى وان كانت تختلف فى امر واحد هو مفتاح كل الامور : ذلك هو امتلاك الارادة التى كان يتميز بها منهج الترجمة فى العصر الاول ومع ذلك فقد ترجمت كتب الفلسفات والوثنيات واحدثت شرخا هائلا وصدعا ضخما لم تستطع حركة الاصالة جبره الا بعد معركة طويلة استمرت مدى قرنين من الزمان .

اما معركة الترجمة المعاصرة فانها اشد خطرا وابعد اثرا فقد جاءت على حين فترة من الزمن لم يكن المسلمون والعرب يمتلكون ارادة الاختيـار فيما ترجم لهم واستطاعت حركة التغريب والغزو الثقافى أن تسيطر وأن تترجم لهم ما ليسوا فى حاجة اليه أصلا ونحت عنهم ما هم فى حاجة اليه وكانت حفية بأن تترجم لهم الفكر الوثنى والفلسفات والمذاهب المادية والايدلوجيات المتضاربة فى حين انها حالت بينهم وبين ترجمة العلوم والتكنولوجيا بل حالت بينهم وبين احياء تراثهم الاصيل

ولذلك فان آثار هــذه المعركة ستظل الى مدى بعيد عميقة الأثر فى النتاج الفــكرى المعاصر تاركة ظلالهــا السوداء على كثير من صفحاته .

ان معركة الترجمة لم تبدأ من منهج صحيح مدروس ينظم مدى ما نحتاجه وما لسنا فى حاجة اليه ، وانما أخذ التغريب والغزو الثقافى بالمبادرة ومضى يقدم لنا على مدى قرن كامل نتاجا سيئاغاية السوء ، قوامه ترجمة القصة المكشوفة الاجنبية ، والتراث اليونانى الوثنى ، والمفــاهيم المادية والاباحية فى مجــالات النفس والاجتماع والاخـــلاق والتربية وقد قدمت لنا هذه الآثار على انها علوم اصيلة وليست فروضا قابلة للخطأ والصواب أو وجهات نظر تمثل أممها واصحابها ، ولم تسبق هذه الدراسات او تلحق بما يكشف أمام القارىء العربى والمسلم مكانها من فكر امتهــا وموقفنا كفكر له منهج متكامل جامع منها وبذلك زيفت هذه الترجمات كثيرا من العقول وافسدت كثيرا من النفوس وخلقت أجيالا مضطربة لانها استطاعت ان تقرأ الفكر الغربى (القائم على عقائد ومفاهيم وقيم وايدلوجيات) تختلف عن فكرنا الاسلامى العربى وكان القائمون على هذه الاعمال فى الاغلب من خصوم هذه الامة وفكرها ومن الراغبين الى اتخاذ سلاح الترجمة سبيلا الى هدم هذه المقومات .

ولقد كانت حركة الترجمة فى اول امرها فى عصر محمد على على النحو الذى قام به رفاعة الطهطاوى ومدرسة الترجمة الاولى عملا بالغ الاصالة فقد عمد الى تقديم نتاجة مدروسا وجادا ومغطيا لجوانب كثيرة فقيرة وخاصة فى مجال العلوم التجريبية والطبيعية وغيرها ، غير ان النفوذ الاجنبى لم يلبث

ان سيطر من بعد على هذه الحركة وحولها الى ترجمات القصص المكشوف وفنونا مختلفة من اهواء النفس وضلالات الفكر البشرى .

وهكذا استطاع التغريب والغزو الثقـافى أن يحجب عن المسلمين والعرب ما كانوا فى حاجة الى ترجمته من الفكر الغربى (وهى مجالات العلوم التجريبية والطبيعية وغيرها) وطرح فى افق الترجمات ركاما مضطربا عاصفا يرمى الى هدم ذلك الحائط النفسى المرتفع القائم فى النفس المسلمة بالحق والتقوى والكرامة والفضيلة والعفاف ويصور الاباحيـات الجنسية على انها شرعة المجتمع المباحة كما يصور الجريمة على انها ظاهرة طبيعية ويصل تأثير هذه الترجمات المسمومة الى جيع مقررات العقائد والأخلاق والاجماع والتدين حيث يوجد تباين واضح وخلاف عميق بين مفاهيم الغرب والاسلام حيث تقوم الحياة الاجتماعية على عبادة الجسد وتقديس الجمال والنظر الى العلاقات الجنسية نظرة حرة بعيدة عن القداسة والعفاف والايمان بالبكارة ، وحيث تختلط الصور فى هذه الترجمات المطروحة فتحدث آثارها الخطيرة فى النفس العربية الاسلامية حتى تصل الى صميم العقيدة نفسها .

ولقد كان لهذه الترجمات آثارها البعيدة فى هدم طبائع الامة التى تختلف تماما ، وفى التمرد على وجودنا وطبيعتنا تحت تأثير الانبهار بهذا الجانب من مدنية الغرب القائم على الزخرف والاضواء والرقص والفنون .

كذلك كان من اسوأ آثار الترجمة ذلك الخلط الشائن بين المذاهب المتعارضة والنظريات المضادة ، وهى نظريات

ومذاهب لم تظهر فى وقت واحد ، وانما ظهرت على أزمنة متفاوتة ، ولكنها حين نقلت الى فكرنا الاسلامى اريد طرحها جملة باضطرابهـا واختلافهـا لتكون عاملا شـديد التأثير فى افساد هذا الفكر والادالة منه .

ومن العجب أن ننقل ونترجم آثار الفكر الغربى اليوم وهو يمر بمرحلة الازمة والانهيار والهزيمة ، وقد احيط به واحتوته مقررات التلمودية وبروتوكولات صهيون وآوى اهله الى ذلك الاحساس الرهيب بالغربة والقلق والتمرد والغثيان فنقل مسرح العبث واللا معقول واللا أدب واللا فن ومثل هذه الفنون المهومة المضطربة التى لسنا فى حاجة اليها ولا هى تستطيع أن تعطينا شيئا يعيننا على بناء أنفسنا أو فكرنا أو أمتنا وخاصة ما كتبه سارتر وكامى ومالرو من أحاسيس بالرعب والفزع والأضطراب نتيجة ذلك الانفصال الشـائن عن العقيدة والدين والأخـلاق وهى فى مجموعهـا الفطرة التى لا تستطيع النفس الانسانية أن تتجاهلها أو تحتويها .

كذلك فأن هذه الترجمات تصور الفرد الغربى وهو يحتقر الأخلاق ويسخر من الرحمة والصدق والعفة والشرف ويحتقر الوطنية ويضحك من الاخلاص للمجتمع ويستخف بفكره الاسرة والعائلة .

وتجد مثل هذه الترجمات تحمل ذلك المثل الردىء بأن لا يحب الانسان احدا ولا يخدم اى مثل او دين أو مبدأ ، ويعتبر ذلك تقييدا لحريته وما يتصل بهذا من انكار الله تبارك وتعالى وتهجم بالعبارات الرديئة عليه على النحو الذى عرف عن نيتشه وسارتر وبيراندللو وفضـلا عن احيـاء الأساطير

واتخاذها أساسا لنظريات فى علم النفس والأخلاق والاجماع أو مصادر لمفاهيم الانثروبولوجيا وغيرها من المفاهيم .

هذه السموم جميعها تترجم الى لغتنا العربية والى ادبنا وفكرنا دون ان يقول لنا مترجموها ما هو الحق فيها وما هو الزيف ، وما موقفنا منها كأمة لها عقيدتها وفكرها ومفاهيمها وقيمها .

وبذلك يطرحون فى افق مجتمعنا الاسلامى موجة زائفة من اليأس والتشاؤم والملل وازدراء الحيـــاة مما لا يتفق مع طبيعتنـــا المتفائلة المؤمنـــة بالله التى لا تخـــاف شيئا والتى تعتصم دائما برضوان الله ورحمته .

ولعل هذه السموم التى تطرحها حركة الترجمة من اخطر ما يواجه حركة اليقظة الاسلامية اليوم ويضع امامها صخورا تحول بينها وبين اكمال المسيرة الى الحق وتحجب كثيرا من حقائق الاسلام وتفسد العقول والقلوب فى اعمـــاق شبابنا واجيالنا الجديدة وحسبما تقول الدكتورة نازك الملائكة: ما من شيء يستطيع ان يفسد علينا جهودنا مثل تبنينا لهذا الفكر الغربى المريض فاذا اتخذ شبابنا نماذجه الادبية والفكرية من اعلام الغرب المعاصر مثل سارتر ومورافيا وكافكا فالى أين سينتهى ؟.

ونحن نقول اننا اشد ما نكون حاجة الى أن نتنبه ونحذر مثل هذا الفكر الوافد وأن نقف منه موقف التحفظ وأن نكشف حقيقته لابنائنا ونقدمه فى صراحة ووضوح ونقول لهم ان هذه المفاهيم ليست مفاهيم المجتمع الاسلامى العربى ولن تكون

للاختلاف العميق فى الاسس والمصادر والمقـومات والقيم والعقائد بين فكرنا وبين هذا الفكر وبيننا وبين الغرب .

وتقول نازك الملائكة : ان اتجاهات الكتب المترجمة عن الغـرب تقلقنا حتى اصبحنا نخشى على نفسية القـارىء العربى من رشائش هذه الموجة التى تأتينا رافضة من الغرب وقد نصف هذه الموجة بالتبذل وذلك لان التبذل هو صفتها من وجهة نظر الأمة العربية . ان لنا حاجاتنا العربية وهى تملى علينا احكامنا الاجتماعية وينبغى ان تمليها .

ولقد أعلن كثير من الباحثين الغيورين تخوفهم من موجة الترجمة التى انطلقت خلال تلك السنوات الطويلة بغير ضابط لها وغير مراجع يدفع عن الفكر الاسلامى شرها ويذود عن المجتمع الاسلامى آثارها وسمومها وقد حق اليوم وقد بلغ الفكر الاسلامى مرحلة الرشد والأصالة والقدرة على التحرر من التبعية معاودة هذا الفكر كله بالنظر والدحض وخـاصة ما كتبه المستشرقون عن الرسول والاسلام والقرآن واللغة العربية وتاريخ الاسلام مما يحمل بذور الشكوك والتخرصات الضالة المضلة .

وفى يقينى أن مترجمى هذه الكتب لم يكونوا حسنى النية فى نقلها ولم يكونوا يحاولون تقديم الجديد الذى يطمعون به فى بناء أممهم ، ولكنهم كانوا ضالين فى محيط دقيق للتغريب والغزو الثقافى والا لحالوا دون ترجمـة السموم ولأردفوا ما ترجموا بوجهة نظر الفكر الاسلامى العربى فيما تدموه .

ولا يمكن أن يكون الكاتب الغيور على أمته المؤمن بحقها

فى الوجود الحافظ لكيانها هو ذلك الذى يترجم لها ما يذلها وما يستعبدها وما يوردها مورد الهوان والخيبة والعبودية حين يحطم لها قيمها ويدمر لها تقاليدها واصولها بما يحرصها عليه من اثم وفسوق .

ان اختلاف الذوق واختــلاف العقيدة واختــلاف القيم والتقاليد يجب ان يكون حاجزا اصيلا فى مجال الترجمة فمـــا يجوز لنا أن ننقل الى أبناء أمتنا ترجمة لقصة مستهجنة أو مسرحية آثمة أو كتاب فاحش مكشوف فما أعتقد أنه ينفع أمتنا على اى نحو من الانحاء .

ومهما يكن من تقدير الغربيين له فأنه لا حاجة لنا به مطلقا ، وانما نحتاج الى ترجمة ما يهذب الأذواق ويجدد النفس ويخلق صورة طيبة للتعامل الاجتماعى بين الرجل والمرأة ، وهو ما يفتقده الادب الغربى فى مراحله الاخيرة هذه بعد ان خضع خضوعا خطيرا لنزعات الجنس والاباحيات والفحش والعرى ومذاهب الغربة والقلق والتمزق . ولعله يوجد فى الادب الغربى كثير من الآداب ما يرقى الذوق ويهذب النفس ولكن مترجمينا لا يطلبون هذا ولا يرضون ترجمته وانما يترجمون تلك الاثام وتلك السموم لانها تروج فى سوق التجارة فيكسبون منها مالا ويتركون شرورها فى عقول المسلمين والعرب وفى قلوبهم ولقد كان واضحا تماما أن حاجتنا الى الترجمة من الغرب هى فى مجال العــلوم التجريبية والطــبيعية والطب والجغرافيا والفلك والتكنولوجيا فهذه هى الميادين التى تقدم لنا ما يدفعنا الى النهضة والقوة وامتلاك ارادة الحياة ، أما ما يتصل بالمفاهيم النفسية والاجتماعية والاخلاقية وما يتصل

بالفنون والقصص والآداب فذلك ما لسنا فى حاجة اليه لان لكل امة آدابها وقيمها .

ولقد كان لنا دائما نظرتنا فى مجال نقد الادب وفى مجـــال الفنون ولنا مفاهيمنا الاجتماعية والاخلاقية فى مجال الاقتصاد والسياسة والتربية ولنا مفهوم متكامل جامع هو بمثابة نظام مجتمع ومنهج حياة فلماذا تحاول حركة الترجمة والقائمين عليها تدمير هذا النظام والتشكيك فيه وذلك بترجمة كل ما يعارضه وما يختلف معه ، بل وما رماه به المستشرقون من اتهامات وشبهات . الحق أن خطة الترجمة آثمة أشد الاثم ، وعميلة وخاطئة .

والواقع اننا يجب ان نعرف الفكر الغربى ونرد عليه ، نعرفه على أنه فكر امة اخرى غير امتنا وانه يحمل وجهة نظر اخرى تختلف كثيرا عن وجهة نظرنا وقد نلتقى فى بعض الجزئيات ولكنا يجب ان نكون مؤمنين اصدق الايمان بمنهجنا الربانى المصدر الانسانى الاتجاه الجامع المتكامل الذى يستهدف بناء الحياة من اجل الخير والعدل والحق واستخلاف الانسان فى الارض من اجل اسعاد البشرية كلها ، وان نقف موقف المعارضة لكل ما يحاول أن يفسد هـــذا المفهوم او يزيفـــه او ينقلنا الى طوابع تغلب عليهـــا الأنانية أو الاباحية أو الاستعلاء العنصرى أو الظلم والاستبداد أو تملك مفاتيـــح العـــلوم والتكنولوجيـــا وقصرها على أمة لعبثها وحرمان البشرية كلها منها .

واننا يجب ان نحرص على حماية شخصيتنا الاسلامية وذاتينا القرآنية من ان تنصهر فى العالمية او تندمج فى الامية أو

يحتوى فى ذلك الركام البشرى الزائف ولما كنا فى مرحلة من مراحل حياتنا ما تزال قوى الاستعمار والصهيونية والماركسية تحيط بنا وتحاول احتواءنا والسيطرة علينا وما زلنا فى جهاد عنيف لكل قوى الغزو فاننا اشد ما نكون حاجة الى أن نقف من الفكر الوافد موقف الحيطة والحذر فان اغلب ما يكتب عنا فيه مكتوب بروح التعصب والحقد والرغبة فى ازالتنا وتدميرنا وأغلب ما يكتب عن أهله يمثل مرحلة متأخرة من مراحل الحضارة الغاربة المازومة فى مفاهيمها وقيمها البعيدة عن روح الله ، المعزولة عن دين الله المنكرة للقيم الربانية الهازئة بالأخلاق الدينية ولنضع تجربة المسلمين الاولى أمامنا ، هؤلاء الذين رفضوا أن ينقلوا الوثنيات والماديات والاباحيات ورفضوها رفضا تاما والذين واجهوا ما ترجم من الفلسفات مواجهة صارمة فكشفوا زيفها وأجلوها وخلصوا المجتمع الاسلامى من الفرق الضالة والمذاهب الهدامة وأقاموا المنهج الاسلامى الأصيل : منهج أهل السنة والجماعة .

أنور الجندى

* * *

حلقـــة جـــديدة

فى دائرة الضـــــوء

دعـــوة صريحة الى المؤرخين والكتاب

انشروا مــذكرات سعد زغلــول
لتكشفوا حقيقة هذه الشخصية الخادعة
ولتضعوه فى مكانه الصحيح من تاريخ
مصر والعرب والاســـــلام ...

* * *

تصـــدر قريبـــا

دار العلوم للطباعة
القاهرة ، ٨١ شارع حسين حجازي (القصر العيني)
ت : ٣١٧٤٨

رقم الايداع بدار الكتب ٧٨/٤٩٢٩
الترقيم الدولى ٥ — ٣٧ — ٧٣٠١ — ١٩٧٧